دور المجالس المحلية في حماية الموارد المائية

● تعاني بلادنا كبقية دول الشرق الاوسط وشمال افريقيا من شحة المياه .. باعتبارها مورداً هاماً وتمثل شحتها امراً خطيراً ينبغي التنبه لها مسبقا .. قبل ان تحل الكارثة .. ويصعب عند ذلك السيطرة عليها .. أو احتوائها على الاطلاق وتنقسم المياه في اليمن الى نوعين مياه سطحية وجوفية .. اذ تعتبر المياه الجوفية المورد الهام الذي يعتمد عليه نظرا لعدم وجود انهار أو بحيرات عذبة يمكن الاعتماد عليها في ظل شحة المياه الموجودة .. وتذبذب سقوط مياه الامطار من سنة الى أخرى .

سامي الحداد

● وبهذا الصدد قد يكون قطاع المياه والبيئة من أبرز القطاعات التي اتخذت حيزاً واسعا في تعزيز اللامركزية المالية والادارية .. وذلك عن طريق تقاسم المسؤولية والاختصاصات مع السلطات المحلية في المحافظات وتكوين مؤسسات محلية للمياه والصرف الصحي ، كخطوة عملية ونوعية وترجمة عملية لعملية الشراكة التنموية مع السلطات المحلية في المحافظات، وأضحت ذات استقلالية مالية وادارية وخطط وموازنات استثمارية تناقش مع وزارتي المالية والتخطيط .. وكل ذلك اسهم في توسيع خدمات هذه المؤسسات ورفع كفاءتها، وتعمل جادة باتجاه عملية البحث عن مصادر مياه جديدة وتعزيز مواقع المياه الموجودة وكذا في تحسين أساليب وادوات النشاط، وفي تدريب العاملين وتأهيلهم، ليتمكنوا من النهوض بالمهام الموكولة إليهم بكفاءة أعلى وبفهم وادراك أعمق وبشكل متلازم مع ما تقوم به وزارة المياه والبيئة من اجراءات عملية باتجاه بناء قدرات الفروع، لتصبح مؤسسات محلية مستقلة على مستوى كل محافظة من محافظات الجمهورية .

● كما انه ومن الاهداف المتوخاة في تعزيز «اللامركزية» تتمثل في تحقيق التوازن بين المحافظات في حصصها من الموازنة الاستثمارية ، والشراكة مع السلطات المحلية في اتخاذ القرار، وبما يحقق نوعاً من الشفافية والوضوح والتي ستنعكس ايجابيا لجذب المانحين وتوظيف مساعداتهم في هذا القطاع الحيوي والمورد الحيوي الهام .

● الا ان هناك العديد من المشكلات الماثلة في قطاع المياه والبيئة قدمت عبر ورقة عمل الى المؤتمر التقييمي الثالث للمجالس المحلية المنعقد في العاصمة صنعاء للفترة من ٣-٦ ديسمبر الماضي قدمت من قبل وزارة المياه والبيئة وذلك بهدف بذل أقصى الجهود الممكنة لحلها وتذليلها من قبل المجالس المحلية في المحافظات، فعلى صعيد الموارد تم التأكيد على أن توافر المياه أو انعدامها يعتبر مسألة حياة أو موت .. وتركها للعابثين بها هو تفريط في حقوق وحياة الاجيال الحالية والمستقبلية، ولا يعقل أن يستنزف هذا الجيل الماء الذي تجمع منذ عشرات آلاف السنين وتترك الاجيال اللاحقة بدون مياه ، فهذا الماء لن يعوض إلا في آلاف السنين، وأوضح ان الحلول التي نحاولها لن تنهي المشكلة بدليل استمرار هبوط مناسيب المياه في الآبار، وبالتالي لابد من ادارة افضل لترشيد الطلب على المياه، وحزم أشد لمنع الحفر إلا في أضيق الحدود وبصورة جماعية مشتركة عند الضرورة، فهناك احواض جفت ، والوضع المائي خطير في اكثر من حوض، والجفاف في طريقه لأن يصبح واقع حال في بقية الاحواض، ولا أمل في استقرار السكان واستمرار الحياة إلا بالحزم في هذا الجانب، خصوصا أن التنافس والخلافات على المياه سوف تتزايد مع تزايد شحة المياه والتهافت عليها لزراعة القات .

● ومن المشكلات الأخرى التي ينبغي حلها وتذليلها من قبل المجالس المحلية معالجة ذلك الخلل والمتمثل بضرورة الحرص على تحصيل الرسوم الخاصة بالحفر في الوقت الذي يجب ان يسبق ذلك بموجب القانون للحصول على الرأي الفني، من الهيئة العامة للموارد المائية، وبدون الاخلال في حق المجلس المحلي في تحصيل رسوم الرخصة لصالحه، كذلك هناك نوع من التساهل مع مخالفات الحفر في الوقت الذي يجب ان تعامل فيه هذه المخالفات كقضايا أمنية، فالمياه أمن اجتماعي واستقرار للسكان ويجب أن تتحرك الطقوم لمخالفات الحفر بنفس الجدية التي تتحرك بها للقضايا الأمنية الأخرى .

● أما على صعيد الوضع البيئي سواء فيما يتعلق بالقمائم والبلاستيك أو على صعيد حماية الموارد الطبيعية كالغابات الجبلية والساحلية وموارد المياه والثروة السمكية، وحماية هذه الثروات من التحطيب الجائر، أو التلويث أو الاستنزاف .. الخ، فتحتاج الى مزيد من الجهد والتوعية، فالموارد الطبيعية هي استقرار السكان ومصدر عيشهم، وانتهاؤها بالاستنزاف أو التلويث يعني فقدان السكان لمصدر عيشهم وانتهاء استقرارهم .

● فإذا ما تم تناول موضوع المياه فقط ، فهناك التلويث الذي يحدث بسبب الزيوت الخاصة بالسيارات ومخلفات محطات السرويس وغير ذلك من الملوثات الصناعية أو المنزلية مثل المجاري والتي تصب في السوائل فتغلغلها الى خزانات المياه الجوفية وتلوثها فتنهي صلاحيتها للاستخدام، وهنا كان لابد من إلزام محلات تغيير الزيوت خصوصا في الارياف بتجميع الزيوت في براميل وعدم سكبها في مجاري المياه، والعمل في المدن على ان يكون هناك مجمعات خاصة لتغيير الزيوت وغسيل السيارات بحيث يسهل جمعها والتخلي منها بطريقة آمنة .

● هذا بالاضافة الى تلوث الهواء والتربة والمياه بسبب مقالب القمامة التي يتم اختيار مواقعها عشوائيا بدون دراسة علمية، كما لايتم تشغيلها بصورة سليمة بحيث تدك النفايات وتردم بالتراب كل فترة وأخرى، حتى لاتتحول المقالب الى مأوى للحيوانات المتشردة والطيور والقطط، ومصدر لنشر الامراض والأوبئة ، وبحيث يتم ايضا تصريف مياه الامطار من حولها حتى لاتصاب بالتلوث، فالمياه الراشحة من مقالب النفايات لها تأثير مدمر على المياه الجوفية خصوصا عندما تكون المياه الجوفية قريبة من سطح الارض كما هو الحال في المناطق الساحلية .

● وما يجدر ذكره بأن هيئة البيئة قد قامت بتطوير العديد من المشاريع لمواجهة مشكلات القمامة في عدة مديريات، مثل زبيد ووادي ظهر ، ودمت وحديبو وقلنسية، ومناطق أخرى، كما أن الهيئة لديها الاستعداد لتقديم الدعم الذي تطلبه .

● ومن المشكلات الأخرى التي تواجه مؤسسات المياه في المدن والتي يمكن حلها بمزيد من التنسيق مع المجالس المحلية في الوحدات الادارية المختلفة، وذلك عن طريق توضيح الاختصاصات ، ومساعدة المجالس المحلية للمؤسسات لردع الربط غير القانوني للمياه، ومنع سرقتها من الخطوط الرئيسية أثناء النقل الى المدن ، وكذلك مساعدة المؤسسات في تحصيل مستحقاتها وتوفير الحماية لممتلكات المؤسسات المحلية، من التعدي عليها وبأية صورة كانت، أضف الى ذلك تنسيق المشاريع التي ينفذها مقاولون لحساب السلطة المحلية «وبوجه أخص مشاريع الشق والسفلتة» وبحيث لا تؤدي الى تدمير شبكات المياه ومنشآتها .

● أما على صعيد مياه الريف، فإن أهم مشكلة في مجال مشاريع الريف فتكمن فيما يتعلق باستدامة المشاريع وكيفية مساعدة المستفيدين للقيام بإدارة هذه المشاريع بصورة تضمن استدامتها، ناهيك عن مشكلة المستفيدين في المناطق الاشد فقرا، ودور المجالس المحلية في كيفية الحفاظ عليها من التلف والتصدع، وتمكينهم من ادارة المشاريع وفق نظم ولوائح وقوانين معدة سلفا لهذا الشأن .

● وتأسيسا عليه فإن التنسيق والفعل المشترك من قبل وزارة المياه والبيئة والمجالس المحلية في المحافظات، والتي ستسهم في تعزيز اللامركزية المالية والادارية التي تخوضها بلادنا، فلابد وان تتم عبر آلية دقيقة تترجم الاهداف والغايات التي تصبو لتلبية احتياجات المواطنين من المياه وتوفير البيئة الصحية والنقية لهم، وفي توظيف الموارد المحلية التي يتم تحصيلها من قبل المؤسسات في قنواتها الصحيحة، المساهمة في تصعيد مستوى الخدمة المقدمة للمواطنين وتوسيع مساحتها، كما ان الصفوفة المتعلقة بالاشكاليات المتصلة بالمياه والبيئة كالحفر العشوائي واستنزاف المياه الجوفية وقيام بعض المجالس بإصدار تراخيص حفر بدون آية مواصفات فنية بالاضافة الى تلوث المياه والبيئة والسكب العشوائي للمخلفات ، والزيوت المحترقة ومغاسل السرويس ووجود مقالب القمامة و حرقها وما ينجم عن ذلك من تلوث للمياه والبيئة .

فإن ذلك يحتم وبالقرار وضع آلية وبرامج عمل تنفيذية يتم تضمينها الحلول والمعالجات المقترحة لمثل هذه المشكلات وتحديد الاطار الزمني للنهوض بها، فإن ذلك سيؤمن في تحسين نوعية الأداء كما وكيفا، وسيمنح آلية الشراكة فيما بين وزارة المياه والبيئة والمجالس المحلية في المحافظات مساحة أوسع لتنسيق الجهود وتوظيفها باتجاه تحقيق الأهداف والمآرب والغايات المشتركة .

آفـــاق

«دوزنة» عربية!!

□ .. تمر المنطقة العربية بحالة «دوزنة» لضبط ايقاعاتها الفالتة والعملية تبدو متعثرة ومخيبة للآمال ، خطوة إلى الأمام وخطوتان إلى الخلف، بسبب كثرة المدوزنين وتعدد مستويات النوايا ، وإذا كثر الطباخون احترقت الطبخة، ومع ذلك فهناك أمل من نوع ما وهناك كما يبدو بصيص ضوء في نهاية النفق ، لأن الرياح حين تهب حتى وإن بدت فوضوية ومن دون منطق ، إلا أنها حين تهدأ نكتشف دائما انها راكمت الأوساخ والمخلفات والأفكار العفنة في زوايا معينة منتظمة كأنها كانت تعمل أو هي فعلا تعمل بنظام رياضي دقيق، سمّه إن شئت دهاء التاريخ، أو قدر الانسان، أو التخلف العقلي للأنظمة التي لاتجدي معها النذر.

العراقيون لانقول أنهم التهبوا، ولا نقول أنهم هدأوا، فهم في مجال انعدام الوزن بين قوة الجذب الامريكية وقوة الجذب الموازية القادمة من شرقهم وغربهم ، ومنعدم الوزن قد يطير مرتاحا على الارجوحة، ولكنه لا يدري في أي فم سيسقط لأنه مثل ذلك الذي تزوج اثنتين وكان فرحا بهما حتى ذاق بلاءهما فقال:

فضل النقيب

تزوجت أثنتين لفرط جهلي
بما يلقاه زوج الأثنتين
فقلت أعيش بينهما خروفا
أنعم بين أسخى نعجتين
فصرت كنعجة تضحي وتسمي
تداول بين أخبث ذئبتين

ومع ذلك وعلى طريقة الضوء في آخر النفق فإن العراقيين قد ذاقوا وجبة دسمة من مطبخ الديمقراطية في الانتخابات الأخيرة التي رجمها العالم العربي بالحجارة بعد أن غض النظر عن حكمة السيد المسيح البليغة (من كان منكم بلا خطيئة فليرميها بحجر) وتلك الشائعة (إذا كان بيتك من زجاج فلا ترم بيوت الجيران بالحجارة) ، وتلك بعض حسنات الديمقراطية ، فهي في أسوأ الحالات (أنظف الوسخين) ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا. ولا شك أن الناخب العراقي كان سعيدا وهو يرى المرشحين يسعون إليه ويعدونه بجنات تجري من تحتها الأنهار ، وما أكثر الأنهار في بلاد الرافدين ، ثم يدللونه ويذبحون له الذبائح ، ويضعون في جيبه المعدم حفنة من الدولارات بدلا من أسلوب (القائد الضرورة) حيث يأتيه زوّار الفجر ويروعونه ثم يبصقون في وجهه ويبصمونه ثم يتلقى مكافأته على الطاعة بركلة في مؤخرته .. هذا عن الطائع أما المسيء فلا تسأل لأن للجدران آذانا.

وتر واحد يبدو أنه ضبط في عملية الدوزنة العربية، وهو وتر المرأة حيث السباق على أشده لكسب ودها، ففي الكويت مساع حكومية محمومة لتمكينها من كامل حقوقها السياسية، وفي السعودية تأكيد جازم على أنها ستشارك في الانتخابات البلدية القادمة، والسبحة ستكر، ففي البدايات تكمن كل النهايات مثلما تحمل النواة في خلاياها شجرة نخيل باسقة لا تلبث بعد حين أن تصبح غابة.

وفي مختبر «الدوزنة» انتقل المسرح والعود والعوادون إلى المنابر وقد بدأت «الدبكة» قبل الغناء، فالأرض تهتز تحت أقدام اللاعبين..

وغدا.. سيأتيك بالأنباء من لم تزود.

رحيل مبدع

د.محمد معمر الشميري

□ .. رحل الاستاذ القدير عبدالله حويس الانسان المبدع الذي حمل آلة التصوير خلال مسيرة طويلة من العطاء المتجدد ترجم فيها آمال وأحلام الوطن بالصورة التي تساوي ألف كلمة وكلمة.

رحل عاشق الوطن شيخ المصورين اليمنيين مخلفا تاريخا رائعا عماده الصورة المعبرة التي كان يختارها بعناية وبمهنة راقية واخلاص كبير، كنا على موعد معه في كلية الإعلام ليتحاور للمرة الثانية مع طلابها في مادة التصوير الفوتوغرافي بعد أن كان قد شارك العام الماضي في الجانب التطبيقي للطلاب ولكن القدر لم يمهله (ولا راد لقضاء الله وقدره) إلى بداية الفصل الجامعي الثاني حسب الاتفاق الذي قبله سعيدا.

عرفته كمبدع شارك معنا في المعرض الثقافي الإبداعي الأول لكلية الإعلام قبل عامين بلوحات مختارة من أفضل لقطاته الفنية نقلها إلينا بحب وفرحة واعتزاز لتكون في مقدمة واجهات القاعة المخصصة للمعرض وكان سعيدا وهو يقدم للزوار والطلاب معلوماته عن تلك الصور الجميلة التي هي جزء منه ، كيف لا وهو الذي عشق التصوير حتى النخاع وهيأ الظروف لولده محمد لمواصلة الطريق من بعده فكان موفقا حيث أصبح فنانا تعلم أصول المهنة منه وتربى على احترامها والاعتزاز بها كفن انساني رائع وذاكرة الشعوب الخالدة.

وكم كان حرصه على المشاركة الفاعلة بمناسبة صنعاء عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٤م وقدم لوحات ناطقة في المعرض الذي أقيم ببيت الثقافة بصنعاء نالت تقدير الزوار ، فقد كان ببدلته البيضاء كملاك يحلق فوق الرؤوس وهو يستعرض ويعرف بصوره الجميلة لمعالي وزير الثقافة والسياحة وبقية الضيوف المشاركين في حفل الافتتاح.

رحل عبدالله حويس جسدا ولكن إبداعه المتجسد في الآلاف من الصور الضوئية تظل شاهدة على تاريخ حافل بالعطاء لوطننا اليمني سجلتها عدسة تصوير هذا المعلم البارز خلال مسيرة عطائه الحافلة بالمآثر والدروس والعبر.

إنا لله وإنا إليه راجعون.

هذه الفرصة التاريخية.. للعرب ولغيرهم

عاطف الغمري

□ .. بينما كان لاسرائيل نظرية ما وراء الطوق، أو الإطار الخارجي المحيط بالدائرة، وهي النظرية التي صاغها في أواخر الخمسينيات ديفيد بن جوريون - أول رئيس وزراء لاسرائيل - وهي استراتيجية سياسية تقوم على عدم تركيز النزاع في خط المواجهة الجغرافي، بل تجاوزه إلى خط أبعد مدى جغرافيا وسياسيا، من خلف العرب، بإقامة علاقات قوية مع دول من المهم أن تكون إسلامية، وبحيث تتحول الى رصيد استراتيجي لاسرائيل وليس للعرب.

من ثم تكون اسرائيل هي التي أحكمت الطوق أو الحصار من حول العرب، فما الذي يجعل العرب في حالة الحصار؟

بالطبع لأنهم عالجوا النزاع مع اسرائيل في حدوده الجغرافية التقليدية الثابتة، تماما مثلما عالجوا العلاقة مع أمريكا بنفس قواعد خمسين عاما مضت رغم التحول الهائل المعلن رسميا من الولايات المتحدة في سياستها الخارجية، وقواعد التعامل بها، وحتى عناصر التحضر والقفزات العلمية والاقتصادية التي دخلت في مكونات ميزان القوى فيها، لم يتملكوها أو يلحقوا بها، فالنهضة ليست قفزة هنا وأخرى هناك، بل هي فكر استراتيجي ومشروع قومي.

ولم تكن استراتيجية اسرائيل قد ثبتت عند ظروف الخمسينيات، لكنها اتخذت تتطور، استجابة للتحولات في وضع العالم العربي في مواجهتها، وفي أي تغييرات في الوضع الدولي عامة، ولأن الاستراتيجية ليست شيئا ثابتا جامدا، لأنها تحوي من الادوات التي ترصد أي تغييرات لصالحها أو ضدها، وتتكيف معها بما لديها من حركة ديناميكية.

والفرق بين العمل الاستراتيجي والعمل السياسي العشوائي، يظهر في انتهاز الأول للفرصة التاريخية، وفي عدم إحساس الثاني بها.

●● فمثلا: مع أن استراتيجية ما وراء الطوق بدأت في الخمسينيات وفي اطار محدود جغرافيا فإن اسرائيل وجدت في أول التسعينيات فرصة تاريخية لدفع النظرية الى آفاق أوسع مدى جغرافيا وسياسيا واقتصاديا، وفي مجال يعتبر نظريا أقرب للعرب، وأيسر مثالا بالنسبة لهم، بينما هو بالنسبة لاسرائيل أبعد مثالا.

وأقصد به دول آسيا الوسطى الاسلامية، التي استقلت عن الاتحاد السوفييتي بعد انتهاء الحرب الباردة عام ١٩٨٩ وزوال الاتحاد السوفييتي، يومها تطلعت هذه الدول الى مجالها الروحي والثقافي التقليدي في العالم العربي، تنتظر تواصلا وزحفا فكريا نحوها يبحث معها ما تريده ويبني معها علاقات جديدة، ولم تحرك الدول العربية ساكنا، أو بالتحديد ليس لدينا استراتيجية تعي بها الاحتياجات الفعلية لهذه الدول، التي لم تستعد فقط استقلالا سياسيا، بل استعادت هوية ثقافية اسلامية.

في الوقت نفسه كانت الولايات المتحدة، قد أدخلت في مصطلحات وزارة الخارجية تعديلا على مصطلح الشرق الأوسط، وأسمته الشرق الأوسط الكبير حتى تغطي المظلة التي تحمل هذا الاسم كل المنطقة التي تحوي النفط والغاز الطبيعي، ولأن هذه المنطقة من أسبابها احتياطيات هائلة من هذه المادة ذات الأهمية الاستراتيجية العالية بالولايات المتحدة، والتقت اسرائيل والولايات المتحدة عند هدف الوجود هناك عام ١٩٩٢ فقدمت الثانية تمويلا أمريكيا لمشروعات اسرائيلية ومعونات كأنها مقدمة من اسرائيل التي كان طبيعيا ان نرحب بها، لما تمثله من استجابة لاحتياجاتها العاجلة والحيوية في كافة مجالات الحياة - اقتصادية وعلمية، وصحية، وبيئية، وزراعية وغيرها. وايضا كانت الفرصة التاريخية الكبرى لاسرائيل تتمثل في وصول المحافظين الجدد الى الحكم، مكونين الغالبية العظمى للفريق الذي يدير سياسة بوش الخارجية منذ عام ٢٠٠١م بما يربطهم من تحالف عقائدي سياسي قديم مع الليكود في إسرائيل، وبما لهم من برامج سياسية معلنة تعكس الكثير من بنود المشروع الصهيوني لما قبل مجيء عملية السلام، والانقلاب على مرجعياتها الأولى وهز منطقة الشرق الأوسط بضربة عسكرية في أضعف حلقات الجدار العربي - في العراق - لاعادة تخطيط اوضاع المنطقة من جديد، وإذا كان هذا الهدف قد تردد في واشنطن في الفترة التي سبقت حرب العراق، فإن قادة اسرائيل لم يخفوها، وكان شاؤول موفاز وزير الدفاع قد ألقى خطابا أمام رؤساء المنظمات اليهودية في القدس في فبراير ٢٠٠٣م أي قبل اسابيع من حرب العراق، قال فيه: ان لنا مصلحة أساسية في إعادة تشكيل الشرق الأوسط، في ثاني يوم لانتهاء هذه الحرب. ومثلما ظلت نظرية ما وراء الطوق وغيرها من سياسات الاستراتيجية الكبرى لاسرائيل، تكتسب تطورها المستمر من مفهوم انتهاز الفرصة التاريخية، فإن هذا يحدث بالنسبة للنظريات القديمة لدى اسرائيل والتي تقوم على غرس بذور القلاقل داخل العالم العربي، الى أن تنمو وتشب وتوجد ظواهر الاحتقان والالتهاب الاجتماعي والسياسي. ومثلما كان لائتلاف اليمين المسيحي (وهو التيار القوي داخل الحزب الجمهوري الذي لا يكف عن اعلان عدائه للعرب، والدعوة لدعم اسرائيل لتنال كل ما تريده). مثلما كانت له مطالب دفع بها للكونجرس قبل سنوات لارسال سلاح الى جنوب السودان، لينفصل ويستقل فإن مثل هذه الدعوات والتي لا تعد اسرائيل بعيدة عنها عينها دائما على الفرصة التاريخية - من وجهة نظرها - لكي تفعل ما تستطيعه لتحول بقع الالتهاب الى بؤر اشتعال، سواء كان ذلك في جنوب السودان، أو دارفور أو قضايا الأقليات، التي تعمل على التواجد في ساحتها من الباب الخلفي، أو على وجه الخصوص من خلال بعض تجمعات في الخارج.

إن وجود مثل هذه النظريات الاستراتيجية لدى العرب، رهن بوجود فكر استراتيجي عربي أولا، يستوعب عمق التحولات التي تجري من حوله في العالم المحيط به، والتحولات النفسية والفكرية في الشخصية القومية للرأي العام في الداخل، والوعي بأن غياب الفكر الاستراتيجي والاستراتيجية هو بمثابة فتح أكبر ثغرة في جدار الأمن القومي لتنفذ منها طموحات الخارج بتحولاته الجارية، الى ساحة الرأي العام في الداخل واللعب فيها وبها، باستخدام نظريات وسياسات تنتهز الفرصة التاريخية للغياب الاستراتيجي العربي، وغياب كان يمكن ان يجد مبررات له في فترة ثبات شكل العلاقات الدولية على مدى خمسين عاما تقريبا، هي فترة الصراع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ثم ما تلاها من مرحلة البحث عن مفهوم جديد للسياسة الخارجية الأمريكية في القرن الحادي والعشرين، أما وقد دخل النظام العالمي مرحلة إعادة هيكلته وبفكر سياسي واستراتيجيات جديدة، فلم يعد ممكنا ان يكون هناك أي مبرر، لهذا الانسحاب العربي، من أن يكون له دور حتى فيما يخصه من شؤون أمنه القومي ومصالح دوله وشعوبه .

إصلاح التعليم.. إصلاح المستقبل

طارش قحطان

■ هناك حقيقة لا يخالطها شك ولا يعتريها وهن وهي أن التعليم بكل مراحله وانماطه وتخصصاته المختلفة قد حقق انتشاراً واسعاً شمل كل جغرافية الوطن ووصل إلى مختلف الشرائح الاجتماعية التي حرمت من هذا الحق تاريخياً..

ومع تسليمنا بعظمة هذه الانجازات وكل ما تحقق لبلادنا في هذا الميدان من مكاسب ومع تقديرنا لكل الجهود التي بذلت وتبذل لتوسيع ساحة انتشاره وتمكين الجميع من الحصول على هذا الحق بيسر وسهولة وتقديرنا للمحاولات التي هدفت التي تفعيل دور المؤسسة التربوية والتعليمية وصولاً إلى إعداد الأجيال وتأهيلهم للقيام بدورهم في المجتمع، فإن الوضعية الراهنة للتعليم تعتريها الكثير من المشاكل التي لم يعد مقبولاً تجاهلها اليوم ولا يجدي معها الترقيعات والمعالجات المؤقتة ولا يكفي الاعتزاز والفخر بما تحقق..

هذا إذا كنا نتطلع بصدق إلى العيش مع العالم من حولنا داخل قفص الحضارة مع ما يستلزمه ذلك التطلع من قبول بالحتمية العلمية والعملية والتي تعني أول ما تعني إقرارنا بما يعانيه نظامنا التعليمي من مشاكل ينبغي الالتفات إليها..

ولا شك أن الأخوين الوزيرين الدكتور عبدالوهاب راوح وزير التعليم العالي والبحث العلمي والدكتور عبدالسلام الجوفي وزير التربية والتعليم اللذين نتابع جهودهما الحثيثة وسعيهما الدؤوب بهمة كبيرة وضجيج إعلامي منعدم قد بدأ السير من النقطة التي تبدأ بها لحظة الاحساس بالخلل ونقص الفاعلية والمتمثل بوضع الأسس لما يجب أن يكون عليه نظام التعليم وتحسين مستوى الأداء التربوي والتعليمي في الحاضر والمستقبل..

ومن منطلق ثقتنا بالوزيرين وإدراكنا لأهليتهم وإقتدارهم العلمي والعملي الذي جعلنا نعلق عليهم كل آمالنا واثقين بأنهما سيتمكنا من التغلب على مجمل المشاكل والصعاب التي تواجه الواقع التربوي والتعليمي بكل مكوناته ومراحله ووظائفه ، ومن ذلك ضعف التخطيط والإدارة وتخلف التشريعات والأنظمة، وصولا إلى ربط التعليم بالعمل المنتج وخطط التنمية اعتماداً على استراتيجيات علمية متجددة تستوعب الحراك الديناميكي المتسارع لعالم اليوم وترتبط فلسفة التربية بالمجتمع..

لا يخامرنا شك في جدارة الأخوين وزيري التعليم العالي والتربية والتعليم وهذا أعتقاد تعززه كثير من الشواهد وذلك استناداً إلى سجل عطاءاتهما في ساحة الإنجاز والعمل..

فالدكتور عبدالوهاب راوح إداري ناجح يظل منشغلا بتطوير المؤسسة التي تسنم مسؤوليتها ويستولي عليه هم تطويرها ويحتل كل مساحة في تفكيره، مخلص لواجبه كلما قطع شوطا في مضمار النجاح واصل سعيه وبعزم للتحضير لمرحلة تالية ليصل فيها النجاح إلى أفضل وأرقى حالاته وصوره، يحسن اختيار الوسائل وانسبها لضمان التحول المرغوب ، هكذا عرف في وزارة الشباب والرياضة والخدمة المدنية اللتين شكل جهده فيهما علامة فارقة من حيث الأداء والإنجاز واليوم يواصل واجبه في ساحة أخرى لا تختلف عن سابقتها إلا من حيث كونها أكثر أهمية لوجود الأمة ومستقبل الوطن والأجيال..

وفي ساحة مماثلة تقع عليها مسئولية صنع المستقبل يقف الدكتور عبدالسلام الجوفي وزير التربية والتعليم الذي نلمس جهوده الهادفة إلى تطوير هذه المؤسسة التربوية الهامة وجعلها تتبوأ المكانة اللائقة بها والمتناسبة مع عظم دورها في الزمان والمكان والوظيفة..

ومع ادراكنا للمناخ الذي يحيط به ويتحكم بتحركاته، والذي أقل ما يوصف به أنه مناخ معيق ومحبط ولكن لذوي القدرات المحدودة والأخ الوزير ليس من هذه الفئة ، فهو شعلة من النشاط الخلاق وصاحب قدرات متميزة إلا أننا نخشى عليه من تبديد الجهد لأسباب تتصل بطبيعة وتركيبة هذا المرفق الذي لا يجهل تعقيداته أحد، بما قد يفرضه ذلك عليه من توزيع لجهوده بين القضايا الجوهرية مثل تصويب ومراجعة مسار العملية التربوية والتعليمية وأمور أكبر وبين متابعة سير العمل المدرسي والامتحان وتوفير الكتاب وتنفيذ المناهج وسير العمل في المدارس وغير ذلك من القضايا التي تتطلب منه أن يفرد لها حيزاً كبيرا من وقته وجهده بسبب ضعف الكادر الإداري وعدم فاعلية الأجهزة المساعدة إلى جانب انعدام كفاءة الإدارة المدرسية التي تفتقر أغلب القيادات فيها إلى أبسط الشروط اللازمة لتولي مسئولية الإدارة المدرسية..

إذاً لا بد من ثورة حقيقية في الإدارة ومن ذلك الإدارة المدرسية لأنها رأس مال المؤسسة المدرسية وعقلها المفكر ويكفي أن يلقي المرء نظرة عابرة على واقع الحال في كثير من المدارس وراء البيئة المدرسية وما هي عليه وما يترتب على ذلك من آثار كارثية على النشء ، وتنكر للحقائق العلمية والتربوية التي يتلقونها من الكتب لأنهم يشاهدون في الواقع المحيط بهم النقائض.

أغلب الإدارات لا هم لها إلا متابعة المرتبات والنفقات ، لا تعير وزنا للتقييم ولمستويات الأداء فيها لأن هذه القيادات ليست مؤهلة تربوياً ولا إدارياً اختيرت أغلبها حسب الأقدمية أو بسبب المجاملات والمحسوبية..

كان الله في عون الأخ الوزير الذي يتحرك في بيئة كهذه والذي تسلم مهام عمله في لحظة تحول حرج وفي وقت انتفت فيه الحاجة إلى مزيد من الخريجين وحاملي الشهادات وفي وقت يتطلب الحال فيه إعادة النظر في كل شيء.